بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 15 يوليو 2019

مفهوم التسامح من زاوية دينية

زهرة الثابت
باحثة تونسية

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019
All rights reserved © 2019

مفهوم التسامح من زاوية دينية[1]

1 نشر هذا البحث في المشروع البحثي الموسوم بـ «التسامح في الثقافة العربية»، إشراف نجية الوريمي، مؤمنون بلا حدود.

«إن الحق في التعصب حق عبثي وهمجي إنه حق النمور، وإن فاقه بشاعة، فالنمور لا تمزق بأنيابها إلا لتأكل، أمّا نحن فقد أفنينا بعضنا بعضاً من أجل مقاطع وردت في هذا النص أو ذاك»

فولتير

الملخص:

التسامح هو جوهر الأديان قبل أن يستقر حقاً إنسانياً ما فتئت الأنظمة والتشريعات الدولية تشيد به. والمتفحص في النصوص الدينية، المقدسة منها وغير المقدسة، يلحظ أنّ مفهوم التسامح إنّما نشأ في رحم بعض الديانات الوضعية كالهندوسية والبوذية والكونفوشيوسية، وترعرع في أحضان الديانات الكتابية كاليهودية والمسيحية والإسلام.

المقدمة:

تُعدُّ الظاهرة الدينية من أهم الظواهر التي ميزت المجموعة البشرية منذ بداية تكوّنها على وجه البسيطة، لأن الإنسان قديماً كان متعطشاً للمقدّس، و«**حينما كان الظمأ للمقدّس (كان) لا بدّ أن يحضر الدين**»[1]. لذلك انبرى هذا الإنسان باحثاً عن معنى لوجوده؛ بل صار «**في توق وشغف أبدي يطلب كماله الوجودي**»[2]، بعد أن أدهشه غموض هذا العالم الذي بعث فيه وأضنته وحشته.

فكان هاجس الإنسان الأكبر التفتيش عن الأمان ليهنأ بعيشه، ولاسيما أنه أصبح مدركاً وجودَ قوى خفية ماورائية تفوق قوته وتتحكم في مصيره، وهو يهابها أو يرغب فيها؛ لأن «**كل معرفة بالمقدس هي تجربة مع قوة متعالية بحسب السياق الطبيعي للأشياء. هذه القوة التي تغير كلّ ما تتجلّى عبره إنساناً، حيواناً أو جماداً، وتحدد مواقف خاصة بالإنسان من جنس الحب والخوف أو الرغبة في التملك**»[3]؛ ذاك هو الدين الذي بات يمثل «**سمة متأصلة في الفكر الإنساني... ومصدراً بدئياً للثقافة الإنسانية**»[4].

ولمّا كان الدين على هذا النحو من الأهمية، تباينت زوايا النظر إليه بين فكر يرى في الدين ظاهرة اجتماعية واستجابة لحاجات الجماعة كما ذهب إلى ذلك دوركايم (Emile Durkheim) في (**الأشكال الأولية للحياة الدينية**)[5]، وبين فكر يَعدُّ الدين حاجة نفسية ولّدها الشعور بالذنب كما استقر ذلك عند فرويد (S.Freud) في كتابه (**موسى والتوحيد**)[6]؛ حيث أقر بأنّ قتل الأب هو أصل نشأة فكرة الرب، ويهوه ليس إلا تصعيداً لإحساس بالذنب. أمّا الدراسة الأنثروبولوجية فقد اهتمت بالرموز الدينية، فحللت بناها لتقصي معناها. والذي يستنتج من هذا الاهتمام المتزايد بالظاهرة الدينية أنها لافتة للانتباه؛ لأنها حاجة لا يمكن للمرء اجتثاثها منه؛ إذ هي مطلب إنساني يشبع حاجة الروح إلى الفضيلة وإلى ما فيه خير الإنسانية.

فالدين ضروري لرفع الإنسان عن الإثم والعدوان والآلام والشرور. وحسبنا أن نقلّب صفحات التاريخ القديم لنرى الدين ماثلاً في الرسوم والتماثيل واللوحات المنحوتة والتراتيل والأساطير والأشعار والأنغام

1- الرفاعي، عبد الجبار، الدين والظمأ الأنطولوجي، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ودار التنوير، لبنان، ط2، 2017م، ص13.

2- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

3- مسلان، ميشيل، علم الأديان: مساهمة في التأسيس، ترجمة عز الدين عناية، كلمة والمركز الثقافي العربي، أبو ظبي/بيروت، ط1، 2009م.

4- السواح، فراس، دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الإنساني، دار علاء الدين، ط4، 2002م، ص22-23.

5- Voir Emile Durkheim, Les formes élémentaires de la vie religieuse, Qadrige, Presses Universitaires de France, 4 ième édition, 1960.

6- فرويد، سيجموند، موسى والتوحيد، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط4، 1986م.

والموسيقا والتشريعات، وكلّها باتت فضاء أرحب للكشف عن القيم الإنسانية النبيلة الداعية إلى الخير الأسمى والمحبة والألفة بين البشر.

باختصار، لقد احتوى الدين منذ الأزل على رسالة أخلاقية حثت على الخير وتحقيق صالح الإنسان في الوجود، فدعت إلى السلم، ونبذ العنف، وحسن التعايش مع الآخر؛ لأنه «**قدرنا وهو شطرنا. إنه قدرنا لأن الأنا تبنى أصلاً بالعلاقة مع العالم، والوعي بالذات يمرّ بالآخر، والشعور بالهوية يبرز في مواجهة الغير. وهو شطرنا لأننا لا ننفك ننقسم على أنفسنا، فنغاير ذواتنا، ونتماهى مع الغير ضرباً من المماهاة. والمماهاة مع الغير يعني أن ننظر فيه إلى ذواتنا فنكتشف بعداً من أبعادنا المجهولة، ونتعرّف إلى وجه من وجوهنا الباطنة**»[7].

ومعنى ذلك أنّ التسامح هو جوهر الأديان قبل أن يستقر حقاً إنسانياً ما فتئت الأنظمة والتشريعات الدولية تشيد به. والمتفحص في النصوص الدينية، المقدسة منها وغير المقدسة، يلحظ أنّ مفهوم التسامح إنّما نشأ في رحم بعض الديانات الوضعية كالهندوسية والبوذية والكونفوشيوسية، وترعرع في أحضان الديانات الكتابية كاليهودية والمسيحية والإسلام. ونروم من خلال مشروع البحث هذا البرهنة عن مدى صحة هذه الحقيقة التي افترضناها، والحفر في التسامح من زاوية دينية؛ عدّتُنا في ذلك بعض النصوص الدينية الهندية منها والصينية كـ (**الباهاجافادا غيتا**) (La Bhagavada-Gitâ)[8]، و(**إنجيل بوذا**) (L'évangile de Bouddha)[9]، و(**المبادئ الخمسة**) لـ كونفوشيوس[10]. كما عوّلنا أيضاً على النصوص المقدسة عهداً قديماً وعهداً جديداً وقرآناً كريماً. ويُعزا اختيارنا لهذه النصوص جمعاء إلى سببين اثنين: أوّلهما: ندرة المباحث التي ولّت وجهتها الحفر في مفهوم التسامح في هذه النصوص الدينية، وثانيهما: ما توافرت عليه هذه المدوّنة من مادة مهمّة حول موضوع التسامح. فما هي مظاهر التسامح في الديانات الوضعية منها والكتابية؟ ما هي الركائز العقدية والفكرية لمقولة التسامح والعيش المشترك فيها؟ وكيف تفاعلت الذات المؤمنة لإقامة جسور التفاهم والتواصل مع الآخر المغاير دينياً؟

لعلّه من الأهمية بمكان النبش في مفهوم التسامح في مظانه المعجمية؛ لأنّ ذلك من مقتضيات البحث العلمي، فما حدود هذا المصطلح؟

7- حرب، علي، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م، ص29-30.

8- الباهاجافادا غيتا-الكتاب الهندي، ترجمة سليم حداد، ضمن الموقع الإلكتروني: (alishraq.net /gita)، (د.ت).

9- Paul Carus, L'évangile de Bouddha, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1902.

10- كونفوشيوس، المبادئ الخمسة، ضمن الموقع الإلكتروني (www.confucius.org)، تاريخ 2008/10/28م.

1- في حدّ المصطلح:

التسامح لغةً هو العطاء والكرم، فيقال: «**سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم**»[11]، وهو أيضاً التساهل. يقول ابن منظور: «**المسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا**»[12]. وجاء في (**موسوعة لالاند الفلسفية**) أن التسامح مفهوم يراد به: «**طريقة تصرف شخص يتحمّل بلا اعتراض أذى مألوفاً يمس حقوقه الدقيقة بينما في إمكانه رد الأذى**»[13]؛ وهو يعني أيضاً «**استعداداً عقلياً أو قاعدة مسلكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد حتى وإن كنا لا نشاطره الرأي**»[14]، كما أن التسامح أيضاً هو: «**احترام وِدِّيٌّ لآراء الآخر**»[15].

أمّا صاحب (**قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية**) فيذكر معنيين للتسامح، فهو يُراد به: «**إحدى صور التكيف التي تتجه فيها الجماعات إلى التلاؤم المتبادل والوصول إلى حل للصراع فيما بينها**»[16]، أو هو يعني «**موقفاً يتسم بالاستعداد لقبول وجهات نظر الآخرين دون الموافقة عليها**»[17]. أمّا في دائرة المعارف الكونية (E.Universalis) فالتسامح يعني إعطاء الآخر حرية التعبير عن آراء قد لا نشاطره الرأي فيها والعيش مع مبادئ غير مبادئنا[18].

والذي يُستشف من هذه التعريفات أن التسامح مصطلح يتأبّى على الحصر، فهو التساهل والتلاؤم والتأقلم والتحمل والتنازل عن الحق واحترام الآخر.

فقد تباينت معانيه وتشعبت، فهو قد يعني المعاناة والقدرة على التحمل؛ إذ «**مصطلح التسامح مشتق من الفعل اللاتيني** (Tolerare) "يتحمل" والكلمة نفسها (Tolleranza) تستخدم مصطلحاً فنياً وهو "حمل"؛ أي أقصى درجة توتر يمكن لجسم ما تحملها قبل أن يصل إلى نقطة الانهيار. إن من يتسامح يتحمل شيئاً ما يسبب له الضيق، يقرّر أن يترك الأمور تجري في أعنتها إيثاراً للسلام بيد أنه يتألم نظراً لتأذي مشاعره

11- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط3، 1999م، الجزء 6، مادة (سمح).

12- المرجع نفسه.

13- لالاند، أندريه، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت-لبنان، ط2، 2001م، ص1460.

14- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

15- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

16- الصالح، مصلح، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية: إنجليزي/عربي، دار عالم الكتب، مادة (Tolérance)، ص564.

17- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

18- جاء في دائرة المعارف الكونية قوله: «نسمّي تسامحاً إذاً، طريقة في التصرّف مفادها ترك الحرية للآخر في أن يعبّر عن آراء لا نشاطره إيّاها، وخاصّة في أن يعيش وفق مبادئ هي غير مبادئنا». انظر: Encyclopaedia Universalis, article «Tolérance», p. 713.

وإرباك عاداته»[19]. أما محمد عابد الجابري فيَعدُّ التسامح «**موقفاً فكرياً وعملياً قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير سواء كانت موافقة أو مخالفة لمواقفنا. وبعبارة مختصرة التسامح هو احترام الموقف المخالف**»[20]. وعليه، التسامحُ عند الجابري هو الإقرار بالاختلاف وبشرعيته؛ بل إن التسامح في نظره قد يرقى إلى مستوى الإيثار[21]. وأمّا محمد أركون فيرى أن التسامح هو: «**الاعتراف للفرد المواطن بالحق في التعبير داخل الفضاء المدني عن الآراء الدينية والسياسية والفلسفية التي يختارها**»[22].

لكن هاشم صالح ينبه إلى خطورة انفلات مصطلح التسامح فيضع له حدوداً قائلاً: «**التسامح لا يعني الانفلات والتسيب الكامل؛ بل إنه لا يعني السماح بأي شيء وإلّا فقد معناه. ويمكن التسامح مع الأشياء الإيجابية.. ولكن لا يمكن أن نتسامح مع الأشياء السلبية الضارة، فهناك تخوم للتسامح في كلّ مجتمع لا يمكن تعدّيها**»[23]. أما الباحثة ناجية الوريمي فترى أنّ التعايش السلمي والحوار المتبادل بين الذوات المتحاورة و«**تنسيب الحقيقة التي يدعي كل طرف امتلاكها وتمثيلها**»[24]، هو «**التسامح المثمر والمتماشي مع قيم الحداثة**»[25].

والذي يُستشف من هذه التعريفات الكثيرة أنّ التسامح مفهوم ثريّ، وهو عصيّ على الحصر[26]، ولاسيما إذا ما عرفنا أنّ هذا المفهوم قد تطوّر؛ لأنّ التسامح في الأصل مفردة لاتينية بدأ التداول بها في القرن السادس عشر، وهي تعبر عن معنى القبول أو التحمل. وقد ظهرت فكرة التسامح عند الغرب في القرون الوسطى في عصر النهضة الذي سيطرت فيه الكنيسة على الدولة والمجتمع، ولم يُعرف التسامح كقيمة أخلاقية إلا في القرن الثامن عشر وفي عصر الأنوار. وقد جاء نتيجة موجة التناحر والتعصب الطائفي بين الكاثوليك والبروتستانت؛ التي اجتاحت فرنسا وإيطاليا وإسبانيا خاصة. فأكد هذا المفهوم الحاجة الماسة إلى التعايش السلمي بين الطوائف الدينية المسيحية وأهمية الاعتراف بحق الاختلاف لوضع حدّ للحروب الأهلية والنزاعات الدينية الدامية في أوربا.

19- ياكوبوتشي، مايكل أنجلو، أعداء الحوار، ترجمة عبد الفتاح حسن، مكتبة الأسرة، 2010م، ص39.

20- الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1، حزيران/يونيو 1997م، ص20.

21- انظر: المرجع نفسه، ص31.

22- أركون، محمد، التسامح واللاتسامح في التراث الإسلامي، ترجمة فوزي البدوي، محاضرة ألقيت في ندوة قرطاج حول التسامح بتاريخ 20-23 نيسان/أبريل 1995م، ص12.

23- صالح، هاشم، التسامح والحرية الدينية، مقال صدر في مجلة يتفكرون، العدد1، ربيع 2013م، (عدد خاص: التسامح والحرية)، ص8.

24- انظر: الوريمي، ناجية، الفكر العربي يعيد إنتاج القديم لتثبيت الواقع، حوار محمد حربي، الأهرام، 12 تموز/يوليو 2016م.

25- المرجع نفسه.

26- يقول (Paul Poupard) في هذا الصدد: « La tolérance apparait toujours comme une mise en question, tardive, difficulteuse». voir Paul Poupard, Dictionnaire des religions, Presses Universitaires de France, article (tolérance religieuse), p. 1709.

وما كان هذا المفهوم ليتحقق لولا جهود بعض الفلاسفة كجان لوك (Jean Luck)، الذي نهض بدور ريادي في الدفاع عن التسامح الديني في رسالته الشهيرة عن التسامح[27]، التي رأى فيها أن الدولة ملزمة بأن تؤمن حرية التعبير عن المعتقدات الدينية والآراء السياسية والفلسفية شرط ألا تنقلب هذه الحرية إلى فوضى تهدد كيان الأفراد والمجتمع.

أما فولتير (Voltaire)[28] فقد عمل على تأصيل مفهوم التسامح معتبراً أنّ الاختلاف حق طبيعي، وأن التسامح ضمان للسلم الأهلي والعيش المشترك. وهكذا استطاع الطرح الفلسفي إخراج التسامح من مفهومه المحلّي الضيق؛ أي التسامح بين الأفراد، إلى فضاء أكثر اتساعاً يشتمل على التسامح بين الطوائف الدينية؛ بل بين الشعوب والأديان. وقد أصبح الغرب اليوم ينظر إلى التسامح «**على أنه عرقي وإثني وقومي واجتماعي وجنسي، وهو يتخذ بصورة عامة شكل تحمل متنامٍ يشمل حيزاً متزايد المساحة للفروقات بين الكائنات البشرية**»[29].

إن التسامح، إذاً، مفهوم شائك؛ إذ هو يعني التحمّل والقدرة على التعايش مع الآخر على نحو مختلف؛ أي القبول بشرعية الاختلاف واحترام الأقليات الدينية في ممارسة عقائدها وشعائر دينها دون ضغط؛ إنّه الإقرار بالمغايرة والتعددية لمدّ جسور التواصل مع الآخر المخالف دينياً وجعل العالم قارة كونية صغيرة.

2- التسامح في الأديان الوضعية:

لا شكّ في أن الاختلاف الديني واقعٌ عرفته الأمم والشعوب على مرّ الأزمنة، وهو واقع عرفه الإنسان المتدين منذ أقدم العصور في رحلته الشائكة، وهو يبحث في أسرار الكون. لكن هذا الاختلاف العقدي لازمه شعور بضرورة نبذ العنف والتحلّي بروح التسامح، لذلك ما انفكت الديانات الوضعية تنشد السلام وتندد بعدم احترام معتقد الآخر، وذلك لتعدد الممارسات الدينية واختلافها من فرد إلى آخر ولتعدد الأديان داخل المجتمع الواحد.

فالهندوسية مثلاً شكّلت نموذجاً باهراً للتسامح الديني الآسيوي؛ إذ المتأمّل في كتاب (**الباهاجافادا غيتا**) المقدس يلحظ أنّ هذه المدونة تفيض بمعجم دال على معنى التسامح من قبيل «التسامح الصبور»،

27- راجع: لوك، جان، رسالة في التسامح، ترجمة منى أبو سنه، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 1997م.

28- راجع: فولتير، رسالة في التسامح، ترجمة هنرييت عبودي، دار بترا، سورية-دمشق، ط1، 2009م.

29- محفوظ، محمد، التسامح وقضايا العيش المشترك، القطيف، ط1، 2007م، ص10.

و«السلام»، و«عدم الأذية»، و«اللاعنف»، و«التحرر من الغضب»، و«التعاطف مع كل الكائنات»[30].
ويلحظ أيضاً أنّها عدّت التسامح سمة من سمات اليوغي[31]؛ فقد جاء فيها قوله: «**من لا يكره أحداً، ويتصرف بحسن النية مع الجميع... من لا يفكر بالأنا وبالتملّك، ومن هو مسامح هذا هو اليوغي الموحّد الممتلئ أبداً بالفرح**»[32].

وقد كانت الهندوسية تمارس الحرية الدينية منذ القديم بدليل أنها كانت تتسع لكلّ المعتقدات، وتحتوي على كل الاتجاهات والأهواء؛ إذ «**هي تؤمن بالوثنية والتوحيد ووحدة الوجود والتقمص والتناسخ والإلحاد ومستعدة للتجاوب مع جميع الأفكار والآراء بما فيها توحيد الإسلام وتجارب التصوف الإسلامي**»[33]. لذلك لم تتعصب لجوهر تعاليمها العقدية ولم تعادِ الإلحاد؛ بل أقرته تجربة إنسانية، ولم تتصدَّ للبوذية التي جاءت ردَّ فعل ضدها، بل اقتربت منها، واستفادت من تجربتها، ولم تقاوم الإسلام عند الفتح الإسلامي للهند؛ بل اقتربت منه وانساقت إلى التصوف الإسلامي «**فأدخل (مثلاً) شنكر آشارى في حركته الإصلاحية التي تسمى الفيدانتية أهم مميزات التوحيد الإسلامي وتجارب الصوفية المسلمين، وكذلك أخذت حركة البهاكتي معظم مزايا التصوف الإسلامي**»[34].

فالهندوسية، على هذا النحو، ديانة مسامحة آمنت بحق الاختلاف، فأقرت التعددية؛ لأنّه «**من المعلوم أن التعددية الدينية هي التي تجبر المجتمع على طرح مشكلة التسامح**»[35]، فاحتملت الهندوسية بذلك اختلاف الآخر لأنها لم تكن «**ديناً واحداً ولا عقيدة واحدة ولا إيماناً واحداً؛ إنها خليط من كل الأديان وكل**

30- راجع الباهاجافادا غيتا، وتحديداً الفصل العاشر: الكمال السماوي، والفصل السادس عشر: الطبائع الإلهية.

31- اليوغي نسبة إلى اليوغا، وهي أمر مطلوب في الهندوسية لتحقيق الحكمة. واليوغا هي الاتحاد، وهي منهج يصير به الفرد قريباً من الله. وقد عرفها جون كولر بقوله: «إنّ اليوغا هي تقييد لتقلبات مادة الذهن (سيتا)، ثم يسكن الحكيم (النفس) في ذاته، وفي أحيان أخرى تتخذ النفس الأشكال ذاتها التي تتخذها تقلبات مادة الذهن». (انظر: كولر، جون، الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، العدد 199، تموز/يوليو 1995م. ولا يمكن لليوغي أن يدرك هذه المرحلة ما لم يلتزم بجملة من الضوابط الأخلاقية والضوابط الروحية وضبط التنفس. الضوابط الأخلاقية: وهي خمسة: - اللاأذى (أهمسا): أي استبعاد التصرفات التي تؤذي الآخرين والتعاطف حيال كل المخلوقات للتخلص من النوازع المادية. - تجنب النوايا السيئة والكلمات التي تؤذي الآخر. - عدم الرغبة فيما يمتلكه الآخر. - الزهد في متاع الحياة الدنيا لأن الرغبة فيها طمع. - العفة وذلك بالرغبة عن أي نشاط جنسي لأنه عائق أمام الوعي بالذات. الضوابط الروحية: وهي: - النقاء الداخلي لتكون التصرفات نقية. - القناعة ورضا المرء بما لديه كائناً ما كان. - الزهد والتقشف لكبح جماح الشهوة وتحرير الإنسان من قيدها - .الدراسة: وذلك بالتواضع والانفتاح على التعليم وفهم تعليم نصوص الفيدا. - التكريس: ويشتمل على إقامة الشعائر لواحد أو أكثر من الأرباب والإجلال للمعلم. وستمكن هذه الضوابط من قهر قوى الأنا حينما يقبل المرء على ضبط التنفس بالتدريبات (الأوضاع الجسدية أو الأساناس: .(Asanas ضبط التنفس: السيطرة على التنفس أمر ضروري لممارسة اليوغا، إذ هي تسهم في زيادة مقدار الطاقة الحيوية لتطهير الوعي وتحريره. ومن شروط ضبط التنفس سحب الحواس (وذلك بإيقاف الاتصال بالألوان والأصوات والروائح الخارجية والأشياء الملموسة) والتركيز والتأمل والسكينة/سمادي .(Samadhi) لمزيد التوسع ينظر كولر، جون، الفكر الشرقي القديم، ص93 وما بعدها.

32- المرجع نفسه، الفصل الثاني عشر: التعبد والإخلاص.

33- البدوي، محمد إسماعيل، الهند القديمة حضاراتها وديانتها، دار الشعب، 1970م، ص124.

34- المرجع نفسه، ص125.

35- أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم، تعريب هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 1998م، ص231.

العقائد»[36]. وقد آمنت الهندوسية بالتعددية؛ لأنها كانت ترى أنّ جميع الأديان إنّما هي طرق لفهم الفرد، وأنّ تعدّدها ليس أمارة على أنّها الإله؛ بل هي السبيل لإدراكه. يقول كريشنا: «**الأديان جميعها طرق ووسائل للوصول إلى الله، ولكن الأديان ليست هي الله»**[37].

والتعددية عند الهندوسي مشروعة لأنها علامة على وحدة كل العقائد والطوائف والملل، بما أنها ليست إلا نهجاً لمعانقة المقدس وبلوغ الألوهية والخلاص[38]. والهندوسي لا يرى نفسه متفوقاً دينياً، وهو يبدي أريحية كبيرة في التفاعل مع الآخر المغاير دينياً والتعامل معه عملاً بقول كريشنا: «من يأتي إليّ من أي طريق كان أمدّ له يديّ».

إنّ هذا التعامل المرن مع الآخر في البحث عن الحق والكمال هو الأمارة على «**تسامح (الهندوسية) العجيب الفذّ»**[39]، الذي كان سبباً من أسباب تميزها عن غيرها من الأديان، وخلاصها من براثن الهمجية وسفك الدماء والبهيمية الضارية؛ بل سبباً من أسباب خلودها. ناهيك عن أنّ من هذا التسامح نشأت فلسفة تسمّى «أنيكانتا وادا» (Anikanta-Vada) وهي «**تقول: إن الحقيقة لها وجهات تفوق الحصر، فكل مفكر ينظر إليها بزاوية من نظره، فيرى وجهة من وجهاتها»**[40]. كما أنه تولّد من هذه الفلسفة مذهب يقال له «سياد وادا» (Syad Vada)، وهو مذهب يحتم الحذر من القطع برأي ما[41]. وقد جعل هذا التسامح الهند تنفتح على الثقافات الأجنبية والأديان المجاورة؛ «**فرحبت بالمسيحية في قرنها الأول من مولدها، ولم تستنكف من اقتباس ما كان حسناً في نظرها من الثقافة الإسلامية، على الرغم من أنّ الإسلام جاءها غازياً وفاتحاً»**[42].

ويشهد التاريخ أيضاً أن التسامح كان الفكرة التي لهج بها قادة الهنود وزعماؤهم، ولعلّ أبرزهم المهاتما غاندي، الذي رفض التعصب والعنف، معتمداً مبدأ اللّاعنف، معرّفاً إيّاه بأنه «**سلوك لا ينطوي على حبّ من يحبّوننا فقط؛ بل يذهب إلى أبعد من ذلك؛ حيث اللاعنف يبدأ من اللحظة التي نشرع فيها بحبّ من**

36- سعيد، حبيب، أديان العالم، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، (د.ت)، ص88.

37- الزين، مصطفى، الحقائق الروحية: مختارات من راما كريشنا، بيسان للنشر والتوزيع، ط1، 2001م، ص68.

38- يقول (Hans Küng) في هذا الغرض: «Selon la conception des hindous, on retrouve, sous-jacente à cette diversité, une unité intentionnelle englobante, dans la mesure où toutes ces formes de religion différentes cherchent à frayer à l'homme un chemin vers la divinité (ou la réalité ultime, l'absolu) et le salut, quelque définition qu'on en donne». Hans Küng, Le christianisme et les religions du monde, éditions du Seuil, Paris, Septembre 1986, p. 206.

39- أثريا، ثقافة الهند ووجهاتها الروحية والأخلاقية والاجتماعية، مجلة ثقافة الهند، مج 1، العدد 2، سنة 1962م، ص29.

40- المرجع نفسه، ص30.

41- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

42- المرجع نفسه، ص31.

يكرهوننا»[43]، معتبراً «**أن التسامح المتبادل إنّما هو القاعدة الذهبية للسلوك؛ لأننا لا نفكر أبداً بنفس الطريقة ولن نرى إلّا جزءاً من الحقيقة ومن زوايا نظر مختلفة»**[44]. ومعنى ذلك أنّ «**الحقيقة متعددة الأوجه لا يمكن لشخص واحد أن يفهمها بشكل متكامل. فالجميع إذاً يملكون أجزاء من الحقيقة، وكلّهم يحتاجون إلى الأجزاء التي يملكها الآخرون، ومن ثم السعي إلى الحقيقة الأكبر»**[45].

ويذكر هوفمان أنّ غاندي كان مناهضاً لظاهرة الاضطهاد الديني، مقرّاً بأنّ الحرية الدينية حقّ إنساني مشروع، وأنّ احترام حق الأقليات الدينية في ممارسة عقائدها وأداء شعائرها دون تضييق هو واجب؛ فهو القائل: «**لا يجدر بنا أن نحوّل هندوسياً إلى مسيحيّ، ولا مسيحيّاً إلى مسلم، بل يجدر بنا أن يصير كل واحد منّا عضواً أفضل في دينه»**[46].

ولم تكن الهندوسية الديانة الوحيدة التي ناشدت السلم؛ بل إننا نلفي البوذية أيضاً ديانةً احترمت الخصوصية الدينية لكل فرد، وأقرت حسن المعاملة بين جميع الناس على حدّ سواء والقبول بالاختلاف في الحياة والمعتقد. فرفضت العنف لأنه «**لا فرح أسمى من السلام»**[47]؛ بل إنّها عَدَّت التسامح ضرباً من ضروب الطهارة، فقد قال بوذا: «**المرء الذي أسمّيه طاهراً هو المتسامح مع غير المتسامح، هو المسالم مع العنيف»**[48].

فالتسامح هو جوهر الطهارة ولا طهارة إلا بالحدّ من الألم، ويكون ذلك بتوافر ثماني خصال هي «**سلامة الرأي، سلامة النية، سلامة القول، سلامة الفعل، سلامة العيش، سلامة الجهد، وسلامة ما نعنى به، وسلامة التركيز»**[49]. ولا طهارة أيضاً إلا بكسر شوكة الرغبة وتطهير النفس من الشرور والغضب

43- انظر: المهاتما غاندي، كل البشر إخوة، ترجمة أنطوان أبو زيدة، شركة دار الجليل، بيروت، ط1، 1977م، ص37-38.

44- ترجمتنا، والشاهد في لغته الأصلية نصه: «La règle d'or de la conduite est la tolérance mutuelle, car nous ne pensons jamais de la même façon, nous ne verrons qu'une partie de la vérité et sous des angles différents». Mohandas Karamchand Gandhi, Tous les hommes sont frères, Gallimard, Paris, collection Folio, n°130, Janvier 1990.

45- حمد، ياسين محمد، دور اللاعنف في حركة التحرر الوطني: الهند أنموذجاً، دراسات دولية، العدد الأربعون، ص89.

46- هوفمان، هوبرست، قانون التسامح، ترجمة عادل خوري، برلين، 2015م، ص240.

47- بوذا، الداماباذا، ترجمة سعدي يوسف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 2010م، ص70.

48- المرجع نفسه، ص136.

49- سعفان، كامل، معتقدات آسيوية، دار الندى، ط1، 1999م، ص204.

ومن غائلة الأنانية[50]، لأن العنف لا يمكن أن يكون المسلك السليم لبلوغ الحكمة[51]، ولأن «**الكره هو أعنف حمّى**»[52] قد تنهش المرء على حدّ تعبير بوذا؛ لذلك حذر بوذا من التعصب؛ لأنه يعمي عن الحق وأفسح المجال أمام روح الاختلاف ومحبة الآخرين بنبذ النزاع والدفاع عنهم ضدّ أعدائهم[53].

وعليه، إذاً، التسامح من أعظم الفضائل في الفلسفة البوذية، والبوذي هو من يتحلّى بالصبر، ويضمر حبّاً لأعدائه وشفقة على كل كائن حيّ، فيطعمه من جوع، ويكسوه من عراء[54]؛ لأن الشفقة إنما هي طريق الخلاص والسعادة، وهي السبيل لإدراك النرفانا (Nirvâna)، التي لا يمكن للبوذي بلوغها ما لم يتجرد من شروره وشهواته وأمانيه ونوازعه. باختصار إنها الطور الذي سيبلغه البوذي المتزهد «**بعد أن يكون قد حطم كل قيود نفسه وأغلالها، ورغب عن شهوة البقاء، ويملكه عقل هادئ مطمئن لا يتسرب إليه الخطأ، وتجرد عن كل الأماني والجهالات وأسباب الخديعة والإغراء**»[55].

أمّا **الكونفوشيوسية** فقد شاع فيها العديد من المصطلحات الدالة على معنى التسامح؛ من قبيل كلمة «شو» (shu)، وكلمة "كوان" (kuan)، وكلمة (rong). ويذكر صاحب كتاب (**التسامح في كلمات**) أنّ هذه الكلمات تحمل دلالات الإحسان والدماثة والرحابة والسعة والاحتواء[56]. وعَدّت هذه الديانة التسامحَ فضيلةً لا غنى للمرء عنها في التعامل مع الآخرين، فعندما سأل التلميذ تزوكونغ معلمه كونفوشيوس قائلاً: «**هل هناك كلمة واحدة يتعامل بها المرء طوال حياته؟**»[57] أجابه قائلاً: «**إنها التسامح**»[58]، ثمّ أردف قائلاً، مفسراً هذه الكلمة: «**ما لا تتمناه لنفسك لا تتمنّه للآخرين**»[59].

50- يقول بوذا في هذا الصدد: «Purifiez votre cœur de la malice, rejetez loin de vous la colère, le dépit et les mauvaises dispositions. Ne cultivez point la haine, même contre qui font du mal, mais ayez pour les êtres vivants bonté et bienveillance». Paul Carus, L'évangile de Bouddha, p. 139.

51- يقول (Ramin Jahanbegloo) في هذا الغرض: «Pour le boudhisme, la haine, ainsi que la colère, sont des formes de désir. La colère de l'esprit donne naissance à la colère dans l'acte. Or, pour suivre la voie de la sagesse, l'homme doit avoir une pensée juste. Etre injuste, selon Bouddha, c'est être violent». Ramin Jahanbegloo, Pensez la non-violence, UNESCO, Paris, 1999, p. 29.

52- يقول بوذا: «La haine est la plus violente des fièvres». Paul Carus, L'évangile de Bouddha, p. 193.

53- يقول بوذا: «N'inventez point de mauvais rapports, ni ne les répétez. Ne querellez point, mais voyez les bons côtés de vos frères, de sorte que vous puissiez les défendre avec sincérité contre leurs ennemis». Paul Carus, p. 138-139.

54- انظر: Paul Carus, ibid, p. 82.

55- سعيد، حبيب، أديان العالم، ص101.

56- انظر: سيلو، بول، التسامح في كلمات، منشورات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 1997م، ص24.

57- راجع: كونفوشيوس، المبادئ الخمسة، الفصل الخامس عشر، النظم الثالث والعشرون، ضمن الموقع الإلكتروني: (www.confucius.org). تاريخ 2008/10/28م.

58- المرجع نفسه.

59- المرجع نفسه.

بل إنّه رأى أنّ الرجل الفاضل حقاً «**هو من يرغب في تثبيت أقدام الناس كما يرغب في تثبيت قدميه، يريد لنفسه النجاح ويكافح ليساعد الآخرين لينجحوا، ويجدّ في أمنيات تلبية المبدأ لسلوكه تجاه الغير في منهج من الفضيلة الحقة**»[60]. والفاضل أيضاً هو من عرف فكرة التبادل في التعامل مع الآخر، فقابل الشر بالخير والأذى بالعدل والخير بالخير؛ لأنّ «**جوهر الحياة الصالحة للفرد والأمة يقوم على حسن أداء الفرد لواجبه ورعايته للروابط التي تربط الناس بعضهم ببعض**»[61]. كما أعلن كونفوشيوس عن الحرية الدينية وعن محبة الآخرين واحترامهم مردّداً عبارة: «**كن قلقاً من أنك لم تقدر الآخرين**»[62]. هكذا نخلص، إذاً، إلى أنّ التسامح كان مبدأ أخلاقياً جُبل عليه الإنسان الأوّل منذ أقدم العصور، وهو مبدأ ما فتئت الديانات الكتابية تثبته وتنص عليه.

3- التسامح في الأديان الكتابية:

إنّ القارئ الحصيف للنصوص المقدسة، «عهداً قديماً»، و«عهداً جديداً»، و«قرآناً كريماً»، يلحظ أنّ هذه المدوّنة قد نصّت في بعض المواطن منها على التسامح، وأنّ اليهودية والمسيحية والإسلام قد دعت إلى السلام واللاعنف، وسارت باتجاه القبول بالتعددية الدينية، وباتجاه العيش المشترك، على الرُّغم ممّا قد يعثر عليه المتدبّر لهذه النصوص الدينية المقدسة من آيات كثيرة حثّت على معاني العنف والقتل وسفك الدماء «**لوجود صلة وثيقة ودائمة بين النبوة والعنف**»[63]؛ إذ إنّ «**النبوة تستثير العنف بقدر ماتستقطبه**»[64].

- التسامح في اليهودية:

لا تختلف اليهودية عن الديانات الوضعية من حيث إنّها دعت إلى نبذ العنف، وأنكرت البغضاء والعداء. ولعلّ وصية موسى «لا تقتل» تُعدّ من أهم المخاطبات التي تقوم حجّةً على ذلك. واستنكار العنف والقتل مردّه تقدير الإنسان لأنّه خُلق على صورة الإله. وما فتئت اليهودية تحثّ على التسامح من خلال النماذج النبوية، التي قامت دليلاً قاطعاً على ذلك، فيوسف صفح عن إخوته، وتغاضى عن أذيّتهم له، وأيّوب صبر على الضر الذي ألحقه به الأصدقاء، أما لوط فقد صمد حيال أذى قريته سدوم.

60- كريل، هـ.ج.، الفكر الصيني من كونفشيوس إلى ماو تسي تونغ، ترجمة عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م.

61- سعيد، حبيب، أديان العالم، ص121.

62- المرجع نفسه، الفصل الأول، النظم السادس عشر.

63- خلايفي، عبد الله، النبوة والعنف، ص31. ضمن عمل جماعي، العنف، بيت الحكمة، تونس، ط1، 2009م.

64- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

ولمّا كان التسامح فضيلة ميّزت الأنبياء، فقد أمعنت التوراة في تثبيتها، والحثّ على احترام كرامة الآخر؛ لأنّ العنف ليس إلا «**أكبر إلغاء لكرامة الإنسان؛ لأنه يعني الاعتداء عليه جسدياً ومعنوياً**»[65]، لذلك ما انفكّ هذا النص المقدس ينهى عن ظلم الآخر[66]، مكرّساً الحب آصرةً قوية تجمع بين الأنا والآخر، فقد جاء في (سفر اللاويين): «**لَا تَنْتَقِمْ وَلَا تَحْقِدْ عَلَى أَحَدِ أَبْنَاءِ شَعْبِكَ وَلَكِنْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَمَا تُحِبُّ نَفْسَكَ**»[67]. وأكدت (التوراة) أيضاً على احترام الغريب في قولها: «**لَا تُضَايِقْ غَرِيبًا لِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ مَشَاعِرَ الْغَرِيبِ فَقَدْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي دِيَارِ مِصْرَ**»[68]، وألحّت على حسن معاملة النزيل ومحبته مثلما هو بيّن في الآية: «**أَحِبُّوا النَّزِيلَ فَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ نُزَلَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ**»[69]؛ بل إنها حثّت على حسن معاملة العدو وذلك بإطعامه عند الجوع، وإرواء غُلَّتِهِ عند العطش، يقول (سفر الأمثال): «**إِذَا جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزًا وَإِنْ عَطَشَ فَاسْقِهِ مَاءً فَإِنَّكَ تَرْكُمُ عَلَى هَامَتِهِ جَمْرًا وَالرَّبُّ يُجَازِيكَ**»[70].

ويبدو أنّ اليهود قد عرفوا أيضاً معنى الحرية الدينية، فعبدوا آلهة متعدّدة كمولوخ ورمانو وقيتوم[71]، واتخذوا من التماثيل آلهة يعبدونها وذلك في عهد موسى، الذي حاد عن الشريعة، فصنع تمثال الحية من النحاس (على الرغم من سبق نهيه عن عبادة التماثيل) حتى يستجيب لنداء شعبه الذي جاءه متوسلاً طالباً الخلاص من الحيات التي ابتلاهم بها الرب، «**فَصَلَّى مُوسَى مِنْ أَجْلِ الشَّعْبِ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اِصْنَعْ لَكَ حَيَّةً سَامَّةً وَارْفَعْهَا عَلَى عَمُودٍ لِكَيْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ تَلْدَغُهُ حَيَّةٌ فَيَحْيَا. فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَأَقَامَهَا عَلَى عَمُودٍ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ لَدَغَتْهُ حَيَّةٌ يَلْتَفِتُ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ وَيَحْيَا**»[72]. وقد حاول فولتير (Voltaire) أن يبحث عن مبرر لسلوك موسى وتساهله مع عبادة الأوثان، فرأى أنّه آيلٌ إلى أنّ هذا النبي قد أيقن عدم جدوى العنف والتعصب، فهو القائل: «**فلربّما أدرك موسى... أنّ التشدّد لا يأتي بنتيجة فاضطر إلى أن يغمض عينيه عن ولع شعبه بالآلهة الأغراب**»[73].

ولا يكاد خروج موسى عن نواميس الشريعة يختلف كثيراً عن خروج سليمان عنها؛ إذ هو قد أثّث الهيكل ببِرْكَة زينها بتماثيل حيوانية فـ «**كَانَتِ الْبِرْكَةُ تَرْتَكِزُ عَلَى اِثْنَيْ عَشَرَ ثَوْرًا تَتَّجِهُ رُؤُوسُ ثَلَاثَةٍ مِنْهَا**

65- أركون، محمد، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، دار الساقي، بيروت، ط1، 2011م، ص323.

66- من ذلك قوله: «لا تَظْلِمْ قَرِيبَكَ» (اللاويين 19: 13).

67- اللاويين 19: 18.

68- الخروج 23: 9.

69- التثنية 10: 19.

70- الأمثال 25: 21، 22.

71- انظر عاموس 5: 26. وإرميا 7: 22.

72- العدد 21: 7، 8، 9.

73- انظر: فولتير، رسالة في التسامح، ترجمة هنريت عبودي، دار بترا، سورية-دمشق، ط1، 2009م، ص101.

نَحْوَ الشَّمَالِ، وَثَلاَثَةٍ مِنْهَا نَحْوَ الغَرْبِ، وَثَلاَثَةٍ مِنْهَا نَحْوَ الْجَنُوبِ، وَالثَّلاَثَةِ الأَخِيرَةِ نَحْوَ الشَّرْقِ»[74]؛ بل إنه شيد لهذه البركة أعمدة أتراسها ثبتت في وسط أطر طرقت عليها أسود وثيران[75]. يضاف إلى ذلك أنّه كان يسمح بعبادة آلهة غير يهوه، فهو قد «**عَبَدَ عَشْتَارُوتَ آلِهَةَ الصَّيْدُونِيِّينَ وَمَلْكُومَ إِلَهَ العَمُّونِيِّينَ**»[76]، واعتقد في كَمُوشَ إله المؤابيين، ومُولَكَ إله بني عمون[77].

والذي يُستشف من هذا أنّ سليمان لم يكن يجد حرجاً في التعامل مع الآخر المغاير دينياً، فسمح لذاته أن تتحول إلى الآخر، بأن قبل الانفتاح على معتقده، وأقرّ التعدد العقدي كي يحصل التناغم والانسجام في المجتمع اليهودي زمنئذٍ.

ـ التسامح في المسيحية:

لم تجبّ المسيحية ما نصّت عليه اليهودية من تسامحٍ عقدي وحسن تعامل مع الآخر؛ لأنها جاءت متمّمة للتقليد اليهودي. ويحضر مصطلح التسامح في (العهد الجديد) حضوراً لافتاً للانتباه إن بصيغة الفعل «سامح» أو بصيغة الفعل «تسامح»[78]، باعتباره من التعاليم المركزية التي نص عليها المسيح حينما خاطب أتباعه قائلاً: «**وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بِمِثْلِهِ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَأَدِرْ لَهُ الْخَدَّ الآخَرَ**»[79].

ويلحظ المقتفي معنى لفظ التسامح في (العهد الجديد) أنه قد أريد به معنيان اثنان: أولهما: إسقاط الخطيئة من غير حساب كما في قوله: «**ذَلِكَ أَنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ مَعَ نَفْسِهِ غَيْرَ حَاسِبٍ عَلَيْهِمْ خَطَايَاهُمْ وَقَدْ وَضَعَ بَيْنَ أَيْدِينَا هَذِهِ الْمُصَالَحَةَ**»[80]؛ وثانيهما: إسقاط الدّيْن كما أجلته قصة المتداينيْن التي ضربها يسوع لسمعان حين قال: «**كَانَ لِأَحَدِ الْمُتَعَامِلِينَ بِالدَّيْنِ دَيْنٌ عَلَى اِثْنَيْنِ: عَلَى أَحَدِهِمَا خَمْسُ مَائَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ، وَلَكِنْ إِذْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمَا مَا يَدْفَعَانِهِ وَفَاءً لِلدَّيْنِ سَامَحَهُمَا كِلَيْهِمَا**»[81].

74- ملوك الأول 7: 25.

75- انظر ملوك الأول 7: 28.

76- ملوك الأول 11: 5.

77- انظر ملوك الأول 11: 7.

78- راجع: بوست، جورج، فهرس الكتاب المقدس، ط4، 1969م، مادة «سامح»، ص295.

79- متى 5: 38.

80- 2 كو 5: 19.

81- لوقا 7: 41-42.

ولكنّ اللافت للانتباه أنّ التسامح في المسيحية قد التبس بمفهوم الغفران (Pardon) كما تجليه الآية «**فَإِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلَّاتَهُمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُم السَّمَاوِيُّ زَلَّاتَكُمْ**»[82]؛ والآية «**وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لِأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا**»[83]؛ وإذا كان الغفران في الإسلام بيد الله فإنّه يصبح في الثقافة المسيحية من صنيع البشر عن طريق «**الفداء والأخوّة المسيحية التي حوّلت الإنسانية إلى أبناء لله بمقتضى التضحية بالابن الذي يجعل من المنخرط في جسده (بعد القيام بطقوس الأفخارستيا في أغلب الأحيان) كياناً مقدّساً قادراً على منح الغفران**»[84].

ومعنى ذلك أنّ الغفران شديد الارتباط بالإنسان، وهو يتطابق ههنا مع مفهوم التسامح الذي اتصل بالمحبة جوهر الكلمة وتمام الشريعة[85]، وهي محبة طالت العدوّ والظالم والمغتصب. يقول يسوع: «**أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ أَحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الذِينَ يُبْغِضُونَكُمْ**»[86]؛ ومن أوجه حسن المعاملة أن يحبّ المرء الآخر حبّه لنفسه، وأن يعامله بالطريقة ذاتها التي يرغب في أن يعامله بها الآخرون، فقد جاء في (سفر لوقا) قوله: «**وَبِمِثْلِ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يُعَامِلَكُمُ النَّاسُ عَامِلُوهُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا**»[87]؛ ويقتضي حسن المعاملة أيضاً إطعام العدوّ عند الجوع، وإرواءه عند العطش[88]؛ ومسامحة المذنب لا الاقتصاص منه[89]، والتحلي بالوداعة والتواضع.

بل إنّ التسامح يضحي ضرباً من تحمّل الآخر ليحصل الوفاق. ألم يهتف المسيح على لسان بولس قائلاً: «**إِذَنْ أَنَا السَّجِينَ فِي الرَّبِّ أُنَاشِدُكُمْ أَنْ تَسْلُكُوا سُلُوكًا يَلِيقُ بِالدَّعْوَةِ التِي إِلَيْهَا دُعِيتُمْ، بِكُلِّ تَوَاضُعٍ وَوَدَاعَةٍ وَطُولِ بَالٍ مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي المَحَبَّةِ، مُجْتَهِدِينَ أَنْ تُحَافِظُوا عَلَى وَحْدَةِ الرُّوحِ بِرَابِطَةِ الْوِفَاقِ؟**»[90]؛ والتحمّل ليس إلا الصبر على أذى الآخر والتغاضي عن الإساءة للعيش بسلام عملاً بقول المسيح: «**لَا تَرُدُّوا لِأَحَدٍ شَرًّا مُقَابِلَ شَرٍّ بَلِ اجْتَهِدُوا فِي تَقْدِيمِ مَا هُوَ حَسَنٌ أَمَامَ جَمِيعِ النَّاسِ، عِيشُوا فِي سَـــلَامٍ مَعَ جَمِيعِ**

82- متى 6: 14.

83- لوقا 11: 4.

84- إدريس، محمد، الغفران في الأديان الكتابية، المركز الثقافي العربي، مؤمنون بلا حدود، بيروت-لبنان، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2015م، ص68.

85- انظر متى 13: 10.

86- لوقا 6: 27.

87- لوقا 6: 31.

88- انظر الرسالة إلى أهل روما 12: 20. ولاحظ أنّ المسيح ههنا إنّما يقتفي أثر (العهد القديم)، فهذه الآية شبيهة في معناها إلى حدّ بعيد بالآية الواحدة والعشرين من الأصحاح الخامس والعشرين من سفر الأمثال.

89- انظر 2 كورنثوس 2: من 5 إلى 8.

90- أف 4: 1، 2، 3.

النَّاسِ، لَا تَنْتَقِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ بَلْ دَعُوا الْغَضَبَ للهِ»[91]؛ والتحمل أيضاً هو القدرة على قبول التعايش مع الآخر والاعتراف بأنّ اختلافه حق مشروع.

وتذهب المسيحية إلى حدّ اعتبار التسامح محبّة بها تتحقق وحدة أتباع المسيح؛ إذ باحتمالهم بعضهم بعضاً يحافظون «**عَلَى وَحْدَةِ الرُّوحِ بِرَابِطِ الْوِفَاقِ.. لِأَنَّ هُنَاكَ جَسَدٌ وَاحِدٌ وَرُوحٌ وَاحِدٌ**»[92]؛ بل إنّ التسامح يضحي أحياناً صكاً للتوبة ولنيل رضا الرب الذي لن يقبل القربان ما دام المرء على خلاف مع الآخر[93].

والجدير بالذكر أنّ قبول الاختلاف والتحلّي بروح التسامح أمر قد نصّ عليه النص التأسيسي (العهد الجديد)، وعزّزه المجمع الفاتيكاني الثاني في الوثيقة المعروفة باسم (**في زماننا هذا**) التي أقرّ فيها احترام المسلمين إثرَ المحاضرة الشهيرة التي ألقاها البابا بنديكت السادس عشر، والتي تهجّم فيها على الإسلام والمسلمين. ومن أهمّ ما جاء في هذه الوثيقة النص الآتي: «**وإذا ما كانت عبر القرون قد اندلعت العديد من الخلافات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، إن المجمع يهيب بهم بنسيان الماضي، وأن يجتهدوا بإخلاص في محاولة للفهم المتبادل، وأن يقوموا بحماية ونشر العدل الاجتماعي والقيم الأخلاقية والسلام والحرية من أجل كافة البشر**»[94].

- التسامح في الإسلام:

جاء الإسلام خاتماً للرسالات السماوية التوحيدية كاليهودية والمسيحية، ومثبتاً لمعاني الإخاء والتحابب والتسامح مع غيره من الأمم والطوائف الدينية؛ فهو لم يكن في جانبٍ منه حضارةً إقصائية متعصّبة، ناهيك عن أنّ المتدبّر في نصوصه التأسيسية، قرآناً كريماً وسنةً نبويةً، يلحظ أنّ هذا الدين قد سعى إلى ضمان شروط التعايش السلمي مع الآخر المغاير دينياً، وضمان حياة التسامح، على الرغم من أنّنا لا نعثر في نصّ الوحي الإسلامي إلا على ما يدلّ على معنى التسامح أو يقاربه، كالعفو والصفح والإخاء والتراحم والتعارف والمغفرة وعدم الإكراه.

91- متى 12: 17، 18، و19.

92- أفسس 4: 3.

93- متى 5: 23، 24، 25.

94- راجع: عبد العزيز، زينب، وثيقة «في زماننا هذا» وعلاقات الكنيسة بالإسلام، مقال صادر بتاريخ 1427/4/24هـ ضمن الموقع الإلكتروني: (www.almoslim.net).

والمتدبّر للقرآن الكريم يتنبه إلى أنّ الإسلام أقرّ الاختلاف، وآمن بالتعددية، واعترف بحرية المعتقد الديني، ولم يمانع في التعامل مع الآخر يهودياً كان أم نصرانياً أم مجوسياً أم غيره، فنبذ العنف والقتل والإساءة، واتخذ من حسن الجدال والمحاورة سلاحاً بديلاً.

1) التعددية والاعتراف بشرعية الاختلاف:

نأى الإسلام عن كلّ مظاهر التعصب الديني، واعترف بالديانات السابقة له متفرداً بذلك عنها؛ «**وكان محمد رسولاً مبعوثاً حاملاً للإنسانية وحياً إلهياً هو خطاب حبّ ورحمة وتقوى، وليس خطاب عنف**»[95]؛ والعالم لا يدين بدين واحد، ولا يمكن له أن يؤمن بعقيدة واحدة، ولا أن يكون من لون واحد»[96]، وإلا استحالت محاولته تلك ضرباً من الهيمنة العبثية التي تفرضها الأغلبية الغاشمة على الأقلية المستضعفة.

لذلك أكّد الإسلام التعددية، على اعتبار أنّها المنطق الذي ينهض عليه بناء الكون؛ فالله خالق هذا الكون واحد أحد، وما سواه من الخلق إن هو إلا متعدد[97]. وإذاً، فلا تعايش إلا داخل التعدد. وقد ترتب على ذلك أن حثّ الإسلام على الاعتقاد بجميع الرسل، فقد جاء في نص (القرآن الكريم) قوله: {آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البَقَرَة: 285]. وبذلك أصبح نص الوحي الإسلامي نصاً مخبراً عن كلّ الرسل وأقوامهم وحيواتهم وصفاتهم وشمائلهم حتى استوى هذا النص «**مقال المسلم، ولكنه، في وجهٍ من وجوهه وبعدٍ من أبعاده، مقال المسيحي واليهودي والبوذي**»[98]، وأقر أنّ الاختلاف حقيقة لا يمكن التفصّي منها عملاً بالآية: {وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ} [هُود: 118]، وبالآية: {لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ} [المَائدة: 48]. وهذا دليل قاطع على أنّ الإسلام في روحه وجوهر رسالته لا يرمي إلى «**المركزية الدينية التي تجبر العالم على التمسك بدين واحد**»[99]؛ وإنّما ينكر هذا القسر فيقبل التعايش مع الآخرين.

95- يقول محمد الشرفي في هذا الصدد: «C'était un messager de Dieu venu pour apporter à l'humanité tout entière la parole divine qui est une parole d'amour, de charité, de piété mais pas du tout une parole de violence». Mohamed Charfi, Islam et liberté, Tribuna Mediterrània 1, IEMed., p. 12.

96- الهاشمي، إنعام، التسامح والعقائدية درب طويل من التضحيات، مجلة تسامح، العدد 44، كانون الأول 2014م، ص218.

97- يقول (Eric Geoffroy) في هذا الغرض: «La doctrine islamique du pluralisme découle d'un principe logique: puisqu'en Islam Dieu seul est Un et Unique, tout ce qui est autre que lui, c'est-à-dire sa Création, est projeté dans la multiplicité...Le cosmos peut se déployer dans la multiplicité parce qu'il est maintenu par l'axe de l'unicité». Eric Geoffroy, Le pluralisme religieux en Islam ou la conscience de l'Altérité, fondation pour l'innovation politique, fondapol.org, Janvier 2015, p. 10.

98- حرب، علي، نقد الحقيقة، ص45.

99- عزوزي، حسن، الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري في عصر الصحوة الإسلامية، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد 6، العدد 23، 2010م، ص54.

باختصار إنّه ينكر المركزية الدينية؛ لأنّ تعدّد الشرائع ليس إلا سنّة من سنن الله في الاجتماع الديني. ولعلّه من أكبر الأدلة على ذلك أنّ المجتمع الإسلامي كان في عهد الرسول محمد مجتمعاً غير متجانس تعايشت فيه طوائف دينية متنوعة وملل مختلفة[100]؛ فإذا اليهودي والنصراني والمجوسي والوثني يجاورون المسلم في أرضه، ويقاسمونه الحياة؛ لأن هذا الدين ما عاد فضاء منغلقاً يمتلك الحقيقة المطلقة ويمثلها؛ بل أضحى فضاء منفتحاً على سائر الثقافات والديانات من غير تفريط في المعتقد، أو مسّ بالهوية العربية الإسلامية.

وقد أفرز الإقرار بالتعددية الرغبةَ في معرفة الآخر المغاير دينياً للاطلاع على فحوى عقيدته وكُنْهِ خصوصيتها، وذاك أمرٌ لم يمانعه القرآن، فقد جاء فيه قوله: {يا أَيُّها النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحُجرَات: 13]. لذلك انبرى العرب يتدبرون نصوص اليهود والنصارى والعقائد الأخرى، وعُنوا بها «**عناية تعرّف وتعريف، عناية جدل ومناظرة**»[101]؛ فظهرت كتب الملل والنحل[102]، وكتب المقالات؛ لأن الحقيقة «**لا تُبنى من دون الغير**»[103]؛ ولأنّ الأنا لا يمكن كُنْهُهَا إلا بالآخر فهو شطرها الذي لا فكاك لها منه. باختصار إنّ فهم نص الوحي الإسلامي لا يكون إلا بإدراك معنى الاختلاف وقيمته فهو ضروري لإنتاج المعنى.

2) حسن التعامل مع الآخر المغاير دينياً:

أملت الطبيعة التعددية للمجتمع الإسلامي على المسلم الاقتناع بأنّ الآخر المغاير دينياً قد أضحى قدره الذي لا مهرب له منه، فآمن بحقيقة تعايشه معه، وفرض حسن معاملته، وذلك باحترام معتقده، ونبذ العداوة معه، وفسح المجال لجداله ومحاورته.

- إقرار حرية الاعتقاد:

تُعدُّ حرية المعتقد من أهم الحريات العامة التي آمن بها الإسلام؛ لأنّه «**دين تحرري، والنص المقدس الإسلامي، أو قل كلمة الله، هو نص يؤكد الحرية**»[104]. وتعني حرية المعتقد «**أن يكون للإنسان الحق في**

100- راجع: الشهرستاني، الملل والنحل، صححه أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1992م.

101- أوملیل، علي، في شرعية الاختلاف، ص16.

102- انظر على سبيل المثال: الشهرستاني، الملل والنحل، (م.س). والبغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، (د.ت).

103- حرب، علي، نقد الحقيقة، ص53.

104- ترجمتنا، والقول لمحمد الشرفي، ونصه في لغته الأصلية: «l'islam est une religion libérale. Le texte sacré de l'islam, la parole de Dieu est un texte qui affirme la liberté». Mohamed Charfi, Islam et liberté, Tribuna Mediterrània, IEMed, p. 10

اختيار ما يؤدي إليه اجتهاده في الدين، فلا يكون لغيره حق في إكراهه على عقيدة معينة، أو على تغيير ما يعتقده بوسيلة من وسائل الإكراه»[105]؛ وقد سعى الإسلام إلى تأصيلها قولاً وممارسة؛ لأنها حق مقدس لا ينبغي المساس به[106]. لذلك نزلت آيات عديدة تؤكد «**حرية الإنسان خاصة في اختيار ما يعتقده، وعدم جواز إكراهه على تبني أيّ معتقد أو تغيير معتقد اعتقده إلى سواه، وعلى تأكيد أن العقيدة شأن إنساني خاص بين الإنسان وربه. فليس لأحد أن يكره أحداً على اعتقاد أو تغيير اعتقاده تحت أي ظرف من الظروف، وبأي نوع من أنواع الإكراه، ومنه استغلال حاجة الإنسان أو تعريضه للإغراء المادي أو سواه»**[107].

ومن أقوى الحجج على أن حرية المعتقد كانت من أهم مقاصد الإسلام الآية {لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البَقَرَة: 256]. وجلي في هذه الآية أن الإسلام لا يرغم أحداً على دخول الإسلام عنوة. ويذكر الطبري في تفسيره أن هذه الآية نزلت في قوم أُكرهوا على اعتناق الإسلام وأُجبروا على ترك يهوديتهم أو نصرانيتهم، فهو القائل: «**نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار، أو في رجل منهم، كان لهم أولاد قد هودوهم أو نصروهم، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه فنهاهم الله عن ذلك حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام**»[108]؛ فالإسلام دافع عن حرية المعتقد لأن الاختلاف العقدي سنة في الخلق وحقيقة لا فكاك منها، فقد جاء في القرآن الكريم قوله: {وَما أَكْثَرُ النّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يُوسُف: 103]؛ وقوله أيضاً: {وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يُونس: 99].

وقد نبّه الإسلام محمداً إلى أن دوره يقتصر على التذكير لا السيطرة بحد السيف، فهو القائل: {فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} [الغَاشِيَة: 21-22]؛ وهو القائل أيضاً: {وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ} [ق: 45]؛ وقد عمل الرسول محمد على تثبيت هذا المبدأ. ويذكر الواقدي في مغازيه أن النبي بعث معاذاً وأبا موسى الأشعري إلى اليمن وأوصاهما قائلاً: «**يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[109]؛ بل يذهب الأمر به إلى حدّ الاعتراف بالديانات الأخرى مقرّاً وجودها في أرض الإسلام شرط أن تدفع الجزية، ونعثر على ذلك في الرسالة التي بعث بها محمد إلى ملوك حمير والتي جاء فيها: «**وإنّه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنّه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن**

105- العيلي، عبد الحكيم، الحريات العامة والنظام السياسي في الإسلام، دار الفكر العربي، 1983م، ص382.

106- يذكر الكاتب الألماني (Heiner Bielefeldt) في هذا الصدد قوله الآتي: «La liberté de religion doit être reconnue comme un droit intangible». voir Heiner Bielefeldt, La liberté religieuse, in Esprit, Mars-Avril 2007, p. 126.

107- العلواني، طه جابر، لا إكراه في الدين، المركز الثقافي العربي/مؤمنون بلا حدود، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2014م، ص118/117.

108- انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، (د.ت)، المجلد2، ص132.

109- راجع: الواقدي، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، 1984م، الجزء 3، ص72.

كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يردّ عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار وافٍ من قيمة المعافر أو عوضه ثياباً»[110].

ويذكر ابن هشام في سيرته أن محمداً كان مؤمناً بأن حرية المعتقد شأن شخصي؛ لذلك امتنع عن إكراه اليهود على دخول الإسلام، فقد جاء في كتاب الموادعة مع اليهود قوله: «**وإنّكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإنّ مردّه إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم، وإنّ اليهود يتفقون مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من أظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته**»[111]. ويستطرد في موقع آخر فيقول: «**إني أنشدكم بالله وأنشدكم بما أنزل عليكم وأنشدكم بالذي أطعم من كان فيكم المنّ والسلوى... إلّا أخبروني هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا.. فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم قد تبيّن الرشد من الغي**»[112].

ولم يقتصر الإسلام على الاعتراف بحرية الاعتقاد حقاً إنسانياً؛ بل كان متسامحاً إلى أبعد الحدود مع طقوس الملل الأخرى، وقد لا نبالغ إن اعتبرنا الوثيقة النبوية أو الصحيفة أول عهد مدني، وأهم وثيقة قانونية أمنت طقوس غير المسلمين، ونصت على احترامها، وليس أدل على ذلك من أن الرسول محمد قد أقر نصارى نجران على دينهم، وكتب إليهم كتاباً جاء فيه: «**ولنجران وحاشيتها جوار الله وأمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأراضيهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وأن لا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغيروا أسقفاً عن أسقفيته، ولا راهباً عن رهبانيته، ولا كاهناً عن كهانته**»[113].

ولعل ذاك ما دفع مستشرقاً كـــ: سير توماس أرنولد إلى الإقرار بأن الدخول إلى الإسلام لم يكن نتيجة قوة؛ بل نتيجة سعي محمد إلى التعايش السلمي مع القبائل المسيحية، ومنحه إياهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية[114]. ومن ذلك أن ابن قيم الجوزية يذكر في (**زاد المعاد**) أنّ الرسول محمداً قد أعطى نصارى نجران الحرية في إقامة صلواتهم فهو القائل: «**قال ابن إسحاق: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران بالمدينة، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير: لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله**

110- ابن كثير، البداية والنهاية، ط2، 2010م، ج 5، ص60.

111- ابن هشام، السيرة النبوية، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت-لبنان، 2004م، ج 2، ص98.

112- المرجع نفسه، ص128.

113- انظر: حميد الله، محمد، الوثائق السياسية للعهد النبوي، دار النفائس، بيروت، ط6، 1987م، ص176.

114- أرنولد، سير توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، 1971م، ص6.

عليه وسلم دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوهم، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم»[115].

كما حرص النبي محمد أيضاً على تأمين حقوق اليهود أيضاً، فأعطاهم الحرية في استخدام لغتهم التي بها يتخاطبون، وسمح لهم بإقامة صلواتهم في معابدهم وتعليم أولادهم ديانتهم في مدارسهم، دون أن يضاروا في ذلك؛ بل إنه أحياناً يتكيف مع طقوسهم الدينية؛ من ذلك مثلاً أنه حث على صيام عاشوراء على الرغم من أنه من شعائر اليهود. يذكر العسقلاني على لسان أبي موسى الأشعري أن النبي «**دخل المدينة وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نحن أحق بصومه، فأمر بصومه**»[116].

ويشهد التاريخ كذلك أن العهد العمري قد نص أيضاً على ضرورة احترام طقوس النصارى وعدم المساس بكنائسهم، ولاسيما ما سمي بالعهدة العمرية، وهي وثيقة أصدرها الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن انتصر العرب على الروم في معركة اليرموك الشهيرة، وقد حرص عمر في هذه الوثيقة على حفظ حقوق النصارى، فسمح لنصارى تغلب بأن يظلوا على ديانتهم، وألا يدفعوا الجزية، وحرّم «**استخدام أية وسيلة من وسائل الضغط على (النصارى) عندما أظهروا أنهم لا يرغبون في ترك دينهم القديم، وأمر بترك الحرية لهم في إقامة شعائرهم الدينية**»[117].

ولعلّ من أهم النصوص، التي تقوم حجة على صحة ذلك، تلك الرواية التي أوردها الطبري في تاريخه عن عمر حينما دخل بيت المقدس، وتلقاه البطريرك وأدخله الكنيسة، ولمّا حان وقت الصلاة أبى عمر أن يصلي في موضعه، وخرج من الكنيسة حتى لا يستولي المسلمون على كنيسة النصارى، مخالفين بذلك ما نصّ عليه في العهدة العمرية من احترام لكنائسهم[118]؛ بل إنّ عمر قد سعى إلى إعطاء النصارى الأمان على كنائسهم حتى لا تهدم، وعلى أنفسهم حتى لا تهتك، وعلى أموالهم حتى لا تنهب، وخاصة في معاهدتي أرمينية ومعاهدة أهل تفليس[119].

115- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار عالم الكتب، 1994م، ج3، ص629.

116- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1997م، ج7، ص349.

117- المرجع نفسه، ص67.

118- راجع: ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك والأمم، ج4، ص159.

119- راجع نصي هاتين المعاهدتين في كتاب محمد حميد الله، الوثائق السياسية في العهد النبوي.

وقد كان موقف عمر المتسامح عند دخول بيت المقدس مختلفاً اختلافاً بيناً عن موقف الصليبيين المتعصب حينما استولوا على القدس؛ إذ يذكر تايلور أنهم قد نكّلوا بالعرب المسلمين شرّ تنكيل وقتلوهم، فهو القائل: «**وشاهدنا أشياء عجيبة؛ إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقُتل غيرهم رمياً بالسهام، أو أُرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق القلاع، وعُذب آخرون أياماً عدة ثم أُلقوا في النيران، وكانت الطرقات مليئة بأكوام الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما ركب جواده وسار يسير بين جثث الخيل والآدميين**»[120].

والذي يُستشف من كلّ هذا أن مكانة النصارى في عهد عمر تؤكد، في الآن ذاته، المكانة الحقيقية لأهل الذمة في نفوس المسلمين؛ فمن مظاهر تسامح الإسلام أنه صانهم ودافع عنهم؛ من ذلك أن عمر أوصى باحترامهم والإحسان إليهم، فهو القائل: «**أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى إليهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم**»[121]. بل إن عمر أوصى بالذميين خيراً حتى حينما داهمه الموت بعد أن طعن، فقد روى جويرية بن قدامة قائلاً: «**فلما دخلنا عليه، وقد عصب بطنه بعمامة سوداء والدم يسيل، فقلنا: أوصنا، فقال: أوصيكم بكتاب الله، فإنكم لن تضلّوا ما اتبعتموه. فقلنا: أوصنا، فقال: أوصيكم بالمهاجرين خيراً فإن الناس سيكثرون، وأوصيكم بالأنصار فإنّهم شِعب الإسلام الذي لجئ إليه. وأوصيكم بأهل ذمتكم فإنهم عهد نبيكم ورزق عيالكم**»[122].

ولم يكن التسامح مع عقائد الديانات الأخرى وطقوسهم الدينية حكراً على الفترتين المحمدية والعمرية فحسب، بل إن الخلافة الأموية كانت نموذجاً باهراً للانفتاح على الآخر المغاير دينياً، وللاعتراف بحقه في ممارسة شعائره كيفما شاء. يقول ول ديورانت في هذا الغرض: «**لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم**»[123].

قصارى القول، إذاً، أن الإسلام زمن النبوة وبعدها كان ديناً تحرّرياً كفل لغيره من الملل والنحل حرية المعتقد؛ لأنه كان متسامحاً مع الآخر المختلف دينياً إلى أبعد الحدود، ولعل ذلك ما دفع المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه إلى القول إنّ «**العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام؛ فالمسيحيون**

120- تايلور، عقل القرون الوسطى، ج1، ص557.

121- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب يقاتل عن أهل الذمة ولا يسترقون.

122- ابن حنبل، أحمد، المسند، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج1، ص51.

123- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ج13، ص130.

والزرادشتية واليهود، الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سُمح لهم جميعاً، دون أيّ عائق، بممارسة شعائر دينهم وكهنتهم وأحبارهم، دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أَوليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟»[124].

- إباحة التعامل مع غير المسلمين:

من مظاهر تسامح الإسلام أيضاً أنه شيد جسور التواصل مع أهل الكتاب، فلم يمنع التعامل معهم. ومن أبرز معالم التعايش المشترك أنّ الإسلام أباح مؤاكلة أهل الكتاب، وقد نصت الآية الخامسة من سورة المائدة في قولها: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ} ؛ ويعلق الطبري على هذه الآية، فيوضح أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، الذين أوتوا التوراة والإنجيل، وقد خصهم القرآن دون سواهم لتمييزهم عن أهل الشرك، الذين حُرم على المسلمين مخالطتهم أثناء الأكل. يقول الطبري: «**وقوله:** {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ} ؛ أي ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهم الذين أوتوا التوراة والإنجيل، وأُنزلت عليهم فدانوا بهما أو بأحدهما، حِل لكم. يقول: حلال لكم أكله دون ذبائح سائر أهل الشرك الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب وعبدة الأوثان والأصنام»[125]؛ ويشير ابن قيم الجوزية إلى أنّ الجزية المفروضة على أهل الكتاب هي التي حللت ذبائحهم؛ إذ يقول: «**ولأنهم أهل كتاب يقرون على دينهم ببذل المال فتحلّ ذبائحهم ونساؤهم كبني إسرائيل**»[126].

كما شرع الإسلام أيضاً الزواج من أهل الكتاب، فأباح مصاهرتهم، فتكون زوجة المسلم كتابية تقوم بفرائضها، وتمارس شعائر دينها، وتتردد على كنيستها، ولا ضير في ذلك؛ لأن الإسلام كفل لها هذه الحقوق؛ بل إن المسلم من حقه أن يتزوج كتابية، وأن يجعل أبناءه على دينه. أمّا الكتابي فلا يمكنه الزواج[127] من مسلمة لأن العرب كانت تخشى أن يدفع الكتابي بزوجته إلى أن تعتنق دينه وترتدّ عن الإسلام. وبلغت درجة تسامح الإسلام مع أهل الكتاب مبلغاً كبيراً، فسمح باحترام جنائزهم «**فقد مرّت على الرسول محمد جنازة يهودي فقام لها فقيل له: إنها جنازة يهودي فقال**: «**أليست نفساً**»»[128]؛ والذي يُفهم من هذه الحادثة أن النفس الإنسانية لها حرمتها ومكانتها مهما كانت ديانتها. إضافة إلى ذلك أُثر عن الرسول محمد أنه عاد

124- هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1993م، ص364.

125- ابن جرير الطبري، جامع البيان، مج 3، ص24.

126- ابن قيم الجوزية، شمس الدين، أحكام أهل الذمة، رمادي للنشر، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط1، 1997م، ص224.

127- يقول (Esther Benbassa) في هذا السياق متحدثاً عن أهل الذمة في أرض الإسلام: «Un protégé (Dhimmiste) ne peut pas épouser une Musulmane: en revanche un musulman peut épouser une non - musulmane et les enfants suivent la religion du père». voir Esther Benbassa, Comment être non - musulman en terre d'Islam, magazine l'Histoire n°: 134, Juin 1990, p. 89.

128- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م، ج3، ص533. (انظر شرح حديث «أليست نفساً»).

يهودياً مريضاً، وصفح عن يهودية عمدت إلى تسميمه. كما اتسعت دائرة إكرام الإسلام لليهود حتى سمح بالمعاملات التجارية معهم.

- حسن الجدال والحوار:

بدت علاقة المسلمين بغيرهم من الملل الأخرى مرنة؛ ذلك أن النبي محمداً لم يمانع محاورتهم أو جدالهم؛ لأن «**الاختلاف مدعاة إلى المجادلة والمنازعة**»[129]؛ ثم إن محمداً كان متأسياً بغيره من الأنبياء الذين سبقوه؛ كالنبي إبراهيم وجداله مع قومه، والنبي موسى وصراعه مع فرعون وأتباعه، والمسيح ومواجهته لليهود. وعليه المجادلةُ مبدأ رسخته الديانات التوحيدية السابقة للإسلام، ومحمد لم يجبّ هذا النهج في التعامل مع الآخر المغاير دينياً، وإنما على هديه سار؛ لأن الحوار ليس إلا ضرباً من التصالح مع الذات الذي يقتضي الحوار مع الآخر والتواصل معه. لذلك لم يكن خطاب محمد إقصائياً رافضاً للآخر عملاً بالآية القرآنية: {قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ} [آل عِمرَان: 64]. وقد اتسم أسلوبه في محاورة أهل الكتاب باللطف واللين؛ لأن القرآن نص على ذلك قائلاً: {وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العَنكبوت: 46]؛ وقال أيضاً: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النّحل: 125].

وحرص النبي محمد على العمل بنص الوحي الإسلامي، وسلك مع أهل الكتاب سلوك الرفق؛ لأن في هذا السلوك ما قد يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف بين النفوس النافرة؛ فكان يجادل اليهود وما كان له ذلك إلا في المدينة حين جاور اليهود المسلمين وساكنوهم، وحين أعرضوا عن دعوة محمد اعتقاداً منهم أنهم شعب الله المختار، لذلك أظهروا للرسول الإنكار والمكابرة، فكانت المجادلة التي تعني المفاوضة على سبيل المنازعة و«**المخالفة التي تبغي إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين الجمهور**»[130].

واندفع اليهود يسائلون الرسول الذي لم يكن يجد ضيراً في إجابتهم على نحو ليّنٍ لطيف عن قضاياهم اليومية التي يحيونها. ومن أظهر الشواهد على ذلك قصة الرجل اليهودي الذي أتى الرسول يستأذنه في الزنى، فأقنعه محمد في أسلوب ليّن بأنه فحش؛ بل إنه دعا الله أن يكفّر له عن ذنبه. يقول البيهقي: «**عن أبي أمامة أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنى، فصاح به الناس. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أقروه، فدنا حتى جلس بين يدي (رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أتحبه لأمك؟ قال: لا، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. قال: أتحبه**

129- حرب، علي، نقد الحقيقة، ص35.

130- ابن سينا، الشفاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1988م، كتاب الجدل، ج1، ص23.

لابنتك؟ قال: لا، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. قال: أتحبه لأختك؟ قال: لا، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم. فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال: اللهم كفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه»[131].

كما جادل الرسول اليهود في جملة من القضايا العقدية كالألوهية؛ حيث خلع اليهود على الإله صفات بشرية منها أنه خلق الكون في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، إضافة إلى تصورهم الفاسد عن الأنبياء والرسل، فهم قد ألحقوا بهم النقص والسوء، فنسبوا إلى لوط شرب الخمرة واضطجاعه مع بناته[132]، واتهموا داود بالزنى مع زوجة قائده أوريا الحثي، وصوروا سليمان متلهفاً على النسوة مغرماً بهنّ، وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً[133]. يُضاف إلى كل هذا نكرانهم للكتب السماوية الأخرى[134]؛ بل إنهم حرفوا الكلم عن مواضعه[135]؛ لأن اليهود، على حد تعبير الشهرستاني: «**تدعي أن الشريعة لا تكون إلا واحدة، وهي ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به**»[136].

أما مجادلة النصارى فلم تكن تختلف كثيراً عن مجادلة اليهود؛ إذ أحسن الرسول محمد محاورتهم، وأرسل أصحابه إلى النجاشي وهرقل والمقوقس وغيرهم بكتبه. وكان ليّناً في مخاطبته إيّاهم؛ من ذلك أن هرقل كان يدعوه بعظيم الروم على وجه الإلطاف في الكلام وحسن الخطاب. يقول النووي في هذا السياق: «**ولم يقل إلى هرقل فقط؛ بل أتى بنوع من الملاطفة، فقال عظيم الروم؛ أي الذي يعظمونه ويقدمونه، وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام فقال تعالى:** {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النّحل: 125]، وقال تعالى: {فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً} [طٰه: 44] وغير ذلك»[137].

وقد حاور الإسلام النصارى في قضاياهم العقدية، فأبطل مزاعمهم في عقيدة التثليث[138]؛ وبنوة المسيح، وألوهية مريم، وقارعهم بالحجج المفحمة، وجادلهم في قضايا الأنبياء. يذكر الطبري في تفسيره أن محمداً قد اجتمع بهم واليهود لرفع خلاف جدّ بينهم، فهو القائل: «**اجتمعت نصارى نجران وأحبار اليهود عند رسول الله فتنازعوا عنده فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً.**

131- البيهقي، السنن الكبرى، ج9، ص161.
132- انظر التكوين 9: 31/30.
133- النساء 4: 156.
134- راجع البقرة 2: 91.
135- انظر النساء 4: 46.
136- الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص132-133.
137- أبو زكريا، يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1393هـ، ج12، ص108.
138- انظر المائدة 5: 73، والنساء 4: 171.

فأنزل الله {ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرانِيّاً} [آل عِمرَان: 67]»[139]؛ هكذا نخلص، إذاً، إلى أن الاختلاف العقدي بين الإسلام واليهودية والمسيحية لم يكن يؤسس للقطيعة والتباعد؛ بل كان مؤسساً للتواصل والتسامح مع الآخر المغاير دينياً.

ـ نبذ العداوة والقتال:

حاول الإسلام امتصاص عوامل النزاع والصراع بين مختلف شرائح المجتمع المدني، فدعا إلى حياة السلم والدعة قائلاً: {يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كافَّةً} [البَقَرَة: 208]. وقد نبذ الإسلام العنف والعداوة، على الرغم من ورود العديد من الآيات القرآنية التي ترشح بمعاني الحث على القتال كقوله: {يا أَيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ} [الأنفَال: 65]، أو قوله أيضاً: {فَإِذا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} [التّوبَة: 5]؛ والتحريض على القتال أملته أسباب منها الدفاع عن النفس والمعتقد والذود عن حرمة أرض الإسلام وتأمينها من خطر الأعداء المحدق بها. ولكنّ هذه الأسباب لم تمنع الإسلام من أن يندب المسلمين ليكون موقفهم من غير المسلمين موقف رحمة وعدل وقسط، فقد جاء في القرآن الكريم قوله: {لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المُمتَحنَة: 8]، ومن وجوه الإقساط والبر عدم قتال العدوّ ودعوة المسلمين لوقف القتال إذا ألقى العدو سلاحه عملاً بالآية {فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَما جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً} [النِّسَاء: 90].

وقد سايرت السنة النبوية ما أقرّه نص الوحي الإسلامي من اجتناب للقتال وجنوح إلى السلم؛ من ذلك أنّ مالكاً بن أنس يذكر في «مدونته الكبرى» أنّ الرسول محمداً كان يشفق في مغازيه على الفئة المستضعفة من النسوة والأطفال، «**فعن أبي الزناد عن أبيه قال: حدثني المرقع بن صيفي أن جده رباح بن ربيع أخي حنظلة الكاتب أخبره أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها كان على مقدمتها فيها خالد بن الوليد، فمر رباح وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة، فوقفوا عليها ينظرون إليها، ويعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة له، فانفرجوا عن المرأة، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: هاه ما كانت هذه تقاتل. قال: ثم نظر في وجوه القوم فقال لأحدهم: الحق بخالد بن الوليد فلا يقتلنّ ذرية ولا عسيفاً**»[140]؛ وقد كان النبي محمد أسوة للخلفاء الراشدين من بعده؛ من ذلك أن عمر بن الخطاب كان يستوصي في القتال خيراً

139- ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج3، ص305.

140- ابن أنس، مالك، المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون، مطبعة السعادة، المملكة العربية السعودية، 1324هـ، المجلد 3، ص7.

بالشيوخ والنسوة والأطفال. يقول صاحب المدونة الكبرى: «**وذكر عن عمر بن الخطاب أنه قال: ولا تقتلوا هرماً ولا امرأة ولا وليداً**»[141].

ولم يكن النبي محمد يكترث للشرائح المجتمعية الضعيفة فحسب؛ بل كان يوصي بحسن معاملة الأسرى، ويذكر ابن عساكر في (**تاريخ مدينة دمشق**) أن المسلمين كانوا يحسنون وفادة الأسرى. ويسوق لذلك خبراً جاء على لسان العاص بن الربيع وهو أحد الأسرى قائلاً: «**كنت مع رهط من الأنصار جزاهم الله خيراً إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبزة وآكل التمر، والخبز معهم قليل وتمرهم زادهم حتى أنّ الرجل لتقع في يده الكسرة فيدفعها إليّ، وكان الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد؛ بل وكانوا يحملوننا ويمشون**»[142].

ومن مظاهر تسامح الرسول أيضاً أنّه لم يبادر إلى قتل المنافقين، على الرغم من خطورتهم على المسلمين؛ لأنّ قتلهم قد لا يكفل لمحمد أسباب بناء الدولة واستتباب الأمن فيها؛ إذ المطلوب تأليف القلوب على شخصه وجمع كلمة الناس عليه، ولاسيما أنّ الإسلام مازال بعدُ في غربته. فلم يقتل النبي محمد مثلاً مربعاً بن قيظي الأعمى الذي حثى في وجوه الرسول وأتباعه التراب[143]، ولم يقتل أيضاً عبد الله بن أبي ابن سلول، الذي عاهد الرسول ثمّ غدر؛ بل عاملهما بصدر رحب وقبل ظواهر المنافقين؛ لأنّه: «**أمر أن يقبل منهم علانيّتهم ويكل سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة**»[144].

إضافة إلى ذلك كان الرسول محمد أميل إلى السلم منه إلى القتل والعنف؛ لذلك فضل المهادنة على الحرب والقتال، وخير دليل على ذلك ما تعاقد عليه المسلمون مع مشركي قريش في صلح الحديبية من كفٍّ عن القتال مدة عشر سنوات. باختصار لقد كان الإسلام ديناً نابذاً للحقد، كارهاً للعنف بشتى صوره؛ لذلك رغّب في حياة السلم، فنبذ القتل وناهض العداء، فاستطاع أن يمدّ جسور التواصل والتصالح مع الآخر المغاير دينياً.

141- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

142- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محيي الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1995م، ج8، ص377.

143- انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص523.

144- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج3، ص161.

خاتمة البحث:

لقد كان هذا البحث محاولة لتجلية حقيقة التسامح من زاوية دينية، فتقصّينا المفهوم في الديانات الوضعية منها والكتابية، وبان لنا أن التسامح أصل فيها، وهو مبدأ أساسي عرفته النصوص المقدسة، قبل أن تنصّ عليه المواثيق الدولية؛ إذ دعت هذه النصوص إلى احترام الآخر في فكره ومعتقده، ونصّت على ضرورة نبذ العنف والتحابب والتآلف والتعايش المشترك؛ لأنه مبدأ أساسي لا غنى للمرء عنه على اختلاف القوميات والعقائد والألوان.

ولعلّ ذاك ما دفع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إلى جعل التسامح بنداً أساسياً من بنوده؛ بل إنه قد غدا منهجاً في الحياة ما أحوج المرء اليوم إليه؛ لأنه تبين أنه الرابطة الإنسانية الوحيدة التي اتفقت حولها الأديان، وهو الآصرة الفريدة التي ألفت بين الشعوب والحضارات.

ولا شك في أنّ التسامح حقيقة فرضها واقع العنف والتعصب الديني، وواقع الإقصاء والتكفير، الذي مازالت ترزح تحت وطأته الشعوب والأمم؛ إذ العالم لا يزال يفتقر إلى الاعتراف بالآخر وبحقوقه؛ بل هو عالم مهدد في أمنه وحقه في تقرير مصيره[145]. لذلك «**وجب أن ندأب على ممارسة تسامح يقوم على المشاركة، وندأب على نشره من أجل أن نربط الصلة من جديد بقرابات مدفونة ونعيد تنشيطها هي قرابات لا نرتاب في أنها لم توضع إلى الأبد**»[146].

145- انظر على سبيل المثال ما تعيشه بعض الدول العربية كالعراق وسورية اليوم من فتن داخلية بسبب التعصب الديني ونزعة التكفير بين طوائفها ما جعلها مهدّدة في أمنها.

146- أركون، محمد، التسامح الإسلامي، ترجمة فوزي البدوي، محاضرة ألقيت في ندوة قرطاج حول التسامح، تاريخ 20-23 نيسان/أبريل 1995م، ص19.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

- الكتاب المقدس -كتاب الحياة- ترجمة تفسيرية، 1988م.
- القرآن الكريم، اليمامة للطباعة، ط7، 1405هـ.
- ابن أنس، مالك، المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون، مطبعة السعادة، المملكة العربية السعودية، 1324هـ.
- ابن حنبل، أحمد، المسند، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ابن سينا، الشفاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1988م.
- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محيي الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1995م.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين:
- أحكام أهل الذمة، الدمام-المملكة العربية السعودية، رمادي للنشر، ط1، 1997م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، دار عالم الكتب، 1994م.
- ابن كثير، أبو الفداء، البداية والنهاية، ط2، 2010م.
- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م.
- ابن هشام، إسحاق، السيرة النبوية، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت-لبنان، 2004م.
- إدريس، محمد، الغفران في الأديان الكتابية، المركز الثقافي العربي، مؤمنون بلا حدود، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2015م.
- البغدادي، محمد بن عمر، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، (د.ت).
- البيهقي، أحمد بن الحسن، السنن الكبرى، تحقيق محمد عطا، دار الكتب العلمية، ط3، 2003م.
- الطبري، أبو جعفر بن جرير:
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، (د.ت).
- العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1997م.
- عمل جماعي، العنف، بيت الحكمة، تونس، ط1، 2009م.
- كريل، هـ.ج.، الفكر الصيني من كونفشيوس إلى ماو تسي تونغ، ترجمة عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م.

2- المراجع العربية:

- أثريا، ثقافة الهند ووجهاتها الروحية والأخلاقية والاجتماعية، مجلة ثقافة الهند، مج1، العدد2، سنة 1962م.
- أركون، محمد:

- التسامح واللاتسامح في التراث الإسلامي، ترجمة فوزي البدوي، محاضرة أُلقيت في ندوة قرطاج حول التسامح بتاريخ 23/20 نيسان/أبريل 1995م.

- قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم؟، تعريب هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 1998م.

- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، دار الساقي، بيروت، ط1، 2011م.

- أرنولد، سير توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، 1971م.

- أومليل، علي، في شرعية الاختلاف، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1991م.

- البدوي، محمد إسماعيل، الهند القديمة: حضاراتها وديانتها، دار الشعب، 1970م.

- بنعبد العالي، عبد السلام، التسامح والحرية، مجلة يتفكرون، العدد1، ربيع 2013م.

- بوذا، الداماباذا، ترجمة سعدي يوسف، دار التكوين، ط1، 2010م.

- بوعجيلة، ناجية الوريمي:

- الائتلاف والاختلاف: ثنائية السائد والمهمش في الفكر الإسلامي القديم، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، دار المدى، ط1، 2004م.

- الفكر العربي يعيد إنتاج القديم لتثبيت الواقع، حوار محمد حربي، الأهرام 12 تموز/يوليو 2016م.

- بوست، جورج، فهرس الكتاب المقدس، ط4، 1969م.

- الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1، حزيران/يونيو 1997م.

- حرب، علي، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1993م.

- حمد، ياسين محمد، دور اللاعنف في حركة التحرر الوطني: الهند أنموذجاً، مجلة دراسات دولية، العدد 40.

- حميد الله، محمد، الوثائق السياسية للعهد النبوي، دار النفائس، بيروت، ط6، 1987م.

- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة، ط3، 1965م.

- الرفاعي، عبد الجبار، الدين والظمأ الأنطولوجي، مركز دراسات فلسفة الدين ببغداد، ودار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 2017م.

- الزين، مصطفى، الحقائق الروحية: مختارات من راما كريشنا، بيسان للنشر، ط1، 2001م.

- سعفان، كامل، معتقدات آسيوية، دار الندى، ط1، 1999م.

- سعيد، حبيب، أديان العالم، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، (د.ت).

- السواح، فراس، دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ونشأة الدافع الإنساني، دار علاء الدين، سورية، ط4، 2002م.

- سيلو، بول، التسامح في كلمات، منشورات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 1999م.

- الصالح، مصلح، الشامل: قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، إنجليزي/عربي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، (د.ت).

- صالح، هاشم، التسامح والحرية الدينية، مجلة يتفكرون، العدد1، ربيع 2013م، (عدد خاص حول التسامح والحرية).

- عزوزي، حسن، الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري في عصر الصحوة الإسلامية، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، مج6، العدد 23، سنة 2010م.

- العيلي، عبد الحكيم، الحريات العامة والنظام السياسي في الإسلام، دار الفكر العربي، 1983م.

- العلواني، طه جابر، لا إكراه في الدين، المركز الثقافي/مؤمنون بلا حدود، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2014م.

- غاندي، الماهاتما، كل البشر إخوة، ترجمة أبو زيد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1977م.

- فرويد، سيجموند، موسى والتوحيد، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط4، 1986م.

- فولتير، رسالة في التسامح، ترجمة هنرييت عبودي، دار بترا، سورية-دمشق، ط1، 2009م.

- كولر، جون، الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، العدد 199، تموز/يوليو 1995م.

- لالاند، أندريه، الموسوعة الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط2، 2001م.

- لوك، جون، رسالة في التسامح، ترجمة منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 1997م.

- محفوظ، محمد، التسامح وقضايا العيش المشترك، القطيف، ط1، 2007م.

- مسلان، ميشيل، علم الأديان: مساهمة في التأسيس، ترجمة عز الدين عناية، كلمة والمركز الثقافي العربي، أبو ظبي/بيروت، ط1، 2009م.

- الهاشمي، إنعام، التسامح والعقائدية درب طويل من التضحيات، مجلة تسامح، العدد 44، كانون الأول 2014م.

- هوفمان، هوبرست، قانون التسامح، ترجمة عادل خوري، برلين، 2015م.

- هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1993م.

- ياكوبوتشي، مايكل أنجلو، أعداء الحوار، ترجمة عبد الفتاح حسن، مكتبة الأسرة، 2010م.

3- المواقع الإلكترونية:

- الباهاجفادا غيتا، ترجمة سليم حداد، ضمن الموقع الإلكتروني (alishraq.net/gita)، (د.ت).

- عبد العزيز، زينب، وثيقة في زماننا هذا وعلاقات الكنيسة بالإسلام، مقال صادر بتاريخ 1427/4/24هـ، ضمن الموقع الإلكتروني: (www.almoslim.net).

- كونفشيوس، المبادئ الخمسة، ضمن الموقع الإلكتروني: (www.confucius.org)، تاريخ 2008/10/28م.

4- المراجع الأجنبية:

- Emile Durkheim, Les formes élémentaires de la vie religieuse, Quadrige, Presses Universitaires de France, 4 ième édition, 1960.

- Eric Geoffroy, Le pluralisme religieux en Islam ou la conscience de l’Altérité, fondation pour l’innovation politique, fondapol.org. Janvier 2015.

- Esther Benbassa, Comment être non - musulman en terre d'Islam, magazine l'Histoire, n° 134, Juin 1990.

- Hans Küng, Le christianisme et les religions du monde, éditions du Seuil, Paris, Septembre 1986.

- Heiner Bielefeldt, La liberté religieuse, in Esprit, Mars - Avril 2007.

- Mohamed Charfi, Islam et liberté, Tribuna Mediterrania1, IEMed.

- Mohandas Karanchand Gandhi, Tous les hommes sont frères, Gallimard, Paris, Collection folio, n° 130, Janvier 1990.

- Paul Carus, L'évangile de Bouddha, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1902.

- Ramin Jahanbegloo, Pensez la non-vilence, UNESCO, Paris, 1999.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019

All rights reserved © 2019